ومنها ما هو مرصع بالجوهر . ويفرق السلطان فى كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئا كثيرا . وما زال الامر على ذلك الى ان ولى الناصر فرج . فلما كان فى ايام الملك المؤيد شيخ قل ذلك . ووجد فى تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زينور لما قبض عليه ستة آلاف كلوتة جهاركس (1). وما برح تجار هذا السوق من بياض (2) العامة . وقد قل تجار هذا السوق فى زمننا وصارت اكثر حوانيته يباع فيها الطواقي التي تلبسها الصبيان وصارت الان من ملابس الاجناد » .

ويتحتم على كذلك ان الاحظ ان الحياصة كانت تستعمل ايضا لدى النساء . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 732) : وفى وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر . ونقرأ فى موضع آخر (ط مكناكتن ج 2 ، ص 102) : فسحبت خنجرا من حياصتها .

الحيك او الحائك

لا وجود لهاتين الكلمتين فى القاموس . ومع ذلك فانني اعتقد انهما من اصل عربي وانهما مشتقتان من الفعل حاك Tisser . تيسيه .

يقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 4 ، مج 2) فى معرض حديثه عن بربر ولاية حاحة Héha اشد ولايات مملكة مراكش غربية : «ان النساء يرتدين نوعا من الازار (Unos alquiceles) وهذا الرداء اسمه (Hayque) quellaman hayques وهو مصنوع على هيئة ملاحف (Almalafas) غرناطة ، ولكنه محروم من نعومتها » . ويقول المرجع السابق نفسه بعد ذلك ؛ وهو يصف السرر والمنامات (Camas) : « بدلا من شراشف السرر (Savanas) يفرشون احد هذه الازار التي يسمونها كما قلت (حيك Hayques» وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 83 ، مج 2) يقول واصفا مكناس : « والنساء يتجولن ملفوفات لفا تاما ببعض الازار البيض (Con unos alquiceles) . الفضفاضة بافراط المصنوعة من الصوف والمسماة Hayques ، بحيث لا يستطيع احد رؤية وجه احدى النساء » . واخيرا (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) نجده يتحدث عن سواد الناس فى فاس فيقول : « اما اولئك اللواتي لسن من الغنى بحيث يستطعن شراء الثياب (Sayos) فانهن يرتدين الازر يلتففن بها : (De aquellos alquiceles rebueltos al cuerpo) .

ويقول دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، مج 2 ، ص 28) عن نساء مدينة الجزائر انهن يرتدين ازرا بيضا لدى خروجهن من منازلهن (Unos mantos blancos) وهذه الازر مفرطة الفضفضة ، وهي مصنوعة من الصوف الناعم او منسوجة من الصوف والحرير ، وهن يبذلن ما فى اطواقهن لجعلها غاية فى البياض بفضل بذل الصابون بسخاء ، كما يعطرنها بالكبريت وباشياء اخرى . وهن يسمينها Alhuyque الحيك . وهذه الازر هي كالملاحف التي سبق لنا ان تحدثنا عنها ، او هي شبه قطعة من الجوخ المربع طولها نحو ثلاثين شبرا وعرضها اربعة عشر او خمسة عشر شبرا . والنساء يلتففن بهذه الازر ويعلقن احد اطرافها على الصدر بمعونة بعض الابازيم او الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة ، وهن يطرحن جماع الازار على الاكتاف والراس ، اما الجانب الآخر ، وهو الطرف التحتاني فانهن يسترن به الذراع اليمنى . وعلى هذه الطريقة يختفين اختفاء تاما بحيث لا يبقى لهن الا المجال الضروري لاستطاعة مواصلة السير . وهكذا فان هذه الازر تشبه بعض الشبه Une bourguignotte وهو القناع الكامل الذي كان مستعملا فى نهاية القرن الخامس عشر وفى نهاية القرن السابع عشر ، حين كان يرتديه رجال السلاح . وعلى هذه الصورة يدرجن فى الدروب مختبئات فى ازرهن اختباء تاما بحيث ان ازواجهن انفسهم لا يستطيعون تشخيصهن ، اللهم الا من اسلوب مشيتهن او عن طريق صواحبهن او مرافقتهن » .

ونجد بعد ذلك دييكو دي هيدو (ص 28 ، مج 3) يقول عن الامساء : « انهن يرتدين نفس الازر (Los mismos mantos) التي ترتديها سيداتهن ، ولكن ازرهن ليست على درجة جمال ازر مالكات رقهن » . ويتحفنا دابر كذلك فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 2 ، ص 239) بتفاصيل

---

(1) الكلوتات الجركسية ذكرها المقريزي ، واوردها كاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ص 138 ، ق 1 ، ج 1 .

(2) هذا المعنى لكلمة بياض لا وجود له فى القاموس . وستجدون مثالا آخر فى تعليقة على مادة قباء .

قيمة عن الحيك Le hayk ، خلال وصفه لازياء سفراء ملك مراكش وفاس ، الذين جاؤوا الى استردام عام 1659 . واليكم ما يقوله : « كان ابراهيم ماينو يلف حول جسمه ثوبا ابيض محوكا من الصوف المرسل ، المملوء بندف القطن من الجانبين ، ويبلغ طول هذا الثوب خمس او ست اذرع ، اما عرضه فذراع ونصف ذراع ، وهذا هو اللباس الاعتيادي للرجل والمراة في هذا البلد ، ولكنه يرتدي اكثر ما يرتدي لدى خروج صاحبه من منزله . واهل مراكش يحسنون تفصيله وتكفين الجسم به بهيئات مختلفة ، وهم يسمونه باللغة العربية الحيك ، كما يسمونه كساء Kissa . وتتدلى من الاسفل خيوط مبرومة على الاكثر او قياطين مغزولة بالمغزل ، يدعونها مرسلة فيه اثناء الحياكة ، وتدعى لديهم (هدو Hudou) ، ويقول دابر بعد ذلك (ص 241، مج 1) ان احد خدم السفراء كان يرتدي حيكا فضفاضا مصنوعا من قماش أسود غليظ » . ويكتب جارنت في كتابه (رسالة جوابا على مختلف الاسئلة الغريبة ، ص 40 و 41) عن الحيك Alhaique فيفسر هذه الكلمة بانها : « ازار من الصوف الابيض ، يبلغ طوله اربع او خمس اذرع وعرضه يصل الى ذراع ونصف الذراع . ويكتب رولان فريجوس عن الحيك Haicque في كتابه (رحلة الى موريتانيا ، ص 44) ويفسر هذه الكلمة بانها ازار. ويتحدث كذلك سان اولور في كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90 ، 92 ، 94) عن هذا الازار الذي يسميه Hayick . . ويكتب موت كلمة حيك هكذا : Haique في كتابه (قصة غزوات مولاي ارشي ، ص 381 ، 384) . وفي الكتاب المعنون (مهمة تاريخية في مراكش ، ص 519 ، مج 2) يتحدث مؤلفه عن كلمة Xayque . ويكتب وندس الكلمة هكذا : Alhague في كتابه (رحلة الى مكناس ، ص 28 ، 30 ، 57) . ويتحدث شو ايضا في كتابه (رحلات الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ، ص 319) عن هذا اللباس . ويكتبه Hyke . ويقول ان طول هذا الثوب في العادة ثماني عشرة قدما وعرضه خمس اقدام . ويضيف الى ذلك ان العربي يرتديه اثناء النهار ويستعمله كغطاء سواد ليلته . ولكن دونكم الوصف الدقيق لهذا اللباس الذي هيأه لنا هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115 ، 116) : « يلبس الرجل في مراكش وفاس حيكا Haik فوق القفطان، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الابيض ، يبلغ طوله عادة تسع اذرع ويصل عرضه الى ثلاث اذرع . والجميع يلتفون بهذا الازار ابتداء بالملك وانتهاء بأهون مراكشي ، وهذا الارتداء يكون على انماط مختلفة : ومع ذلك فان اشيع هذه الانماط هو وضع الحيك على الراس وطرح نهايته على الكتف اليسري ، كما يوسعنا ان نراه في اللوحة الثانية عشرة ، الصورة الاولى .

اما لدى المثول بين يدى الملك فيجب نزعه عن الراس ، ويجب وضع عقدة فيه تدعى Achât Errua اخط الروة (1) .

وهذا اللباس عميم الفائدة على الفقراء بوجه الخصوص . فبصرف النظر عن امكانهم الاستغناء عن الملابس الاخرى فانهم يستعملونه بدلا من دثار السرير او شرشفه لينامو فوقه ، علاوة على انهم يستعملونه استعمال الكيس ، حين يكون لديهم ما يحملونه . كذلك يمكن استعماله كمنديل يتمخطون فيه وينشفون به الانوف ، واخيرا يمكن استعماله ثوبا للصيد يستطيعون الصيد فيه لتزجية الوقت ، خلال ساعات ، دون ان يضايقهم شيء . ولكنه يضايقهم اثناء العمل ، لانه يربك اليدين في كل لحظة ويسقط بصورة مشوشة . فترتب على ذلك انهم يخلعونه عادة اثناء هذه الحالات ليسلم من الاتساخ » . ويقول نفس الرحالة في موضوع آخر (ص 119) : « والنساء ايضا يرتدين الحيك ، ولكن بشكل آخر مختلف عن شكل الرجال . فهن يشددنها الى الصدر بابازيم من الفضة يسمينها (بسيم) ويختفية Chetfia وبينهما سلسلة . ومعظم النساء يرتدين هذا الحيك فوق الجسم العاري . اما الفتحات فمن الجوانب ، واذا ارادت امراة ارضاع طفلها فانها

(1) . اعتقد وجوب كتابة عقد الرواء ، لان كلمة رواء تبدو لي انها تشير الى عقدة . راجع (الكالا) حول : Lazo de çapatos

تخرج حلمة ثديها من هذه الفتحة ، وهذا الوضع ملائم كل الملاءمة للطفل الذي تحمله امه على ظهرها ، وعلاوة على ذلك فان النساء هنا ذوات حلمات كبيرة للغاية ، ما دمن يافعات » .

ويخبرنا المؤلف نفسه بأن بعض النساء يرتدين:

1 ـ القميص ؛ 2 ـ القفطان ، 3 ـ المنسرية ،

4 ـ الحيك مع الحزام (1) .

وكلمة حيك او حائك ذكرها الرحالة لمبريير فى كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 39 ، 293 ، 295 ، 386) الذي كتب كلمة حيك هكذا Haick . كما ذكرها علي بيك فى كتابه (الرحلات ، ج 1 ، ص 16 ، 29 ، 73 ، 80) الذي كتب الكلمة هكذا Hhaik وهناك عدة رحالين زاروا المغرب فى ايامنا هذه امثال ريلي (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية ، ص 407 ، 492) ، وجاكسون (تقرير عن مراكش ، ص 138)، وكابردى همسو (مرآة جغرافية وإحصائية للامبراطورية المراكشية ، ص 81) والعقيد سكوت (يوميات اقامة فى مخيم عبد القادر الجزائري ، ص 5) والليدي كروفنر رحلة بحرية فى البحر الابيض المتوسط خلال عام 1840) فتحدثوا عن هذا اللباس وكتبوه على هذه الصورة Haick, hayk, hhaik, haik » .

الخرقة

تشير هذه الكلمة الى الثوب ـ او الى الرداء الغليظ ـ الذى يلبسه الفقراء ـ ولاسيما المتصوفة منهم فى الشرق . ويقول المقري (تاريخ الاندلس ـ مخ غوتا ـ ص 201) عن احد المتصوفة انه كان : « بركة لابسي الخرقة ». وفى مخطوطة تتملكها مكتبة ليدن وتحتوي على عدة كنانيش خاصة بالمتصوفة (مخ فارسية ، 1038 ، ص 22) نجد : در كريبان خرقه نوشته بود يا عزيز يا ستار يا لطيف يا حليم در مهان خرقه نوشته بود يا صبور يا شكور يا كريم

---

(1) هذه الكلمة لا تكتب هكذا (بسيم) ولكن (ابزيم) والجمع بزائم ، وهي تشير بكل تأكيد الى كلمة اكراف الفرنسية . وقد راينا آنفا ان دييكو دى‌هيدو يتحدث عن (Hevillas) agrafes التي بواسطتها تعلق النساء الحيك ، وعلى ذلك فان بيدرو دي الكالا يترجم فى كتابه (مفردات عربية) كلمة Hevilla الى كلمة ابزيم . ويترجم دونباى فى كتابه (النحو المغربي العربي ص 82) كلمة Fibulae الى كلمة بزائم ، وتشير قواميسنا الى ان كلمة ابزيم تدل على كلمة Agrafe مع حاملها .

وانني اعتقد بوجوب كتابة هذه الكلمة (ختفية) خطفية ، بالطاء ، وليس بالتاء . وسأجعلكم تلاحظون ان حتف لا وجود له قط فى اللغة العربية ، وان خطف على العكس من ذلك معروف وشائع ، وان الاشتقاق بجانب افتراضي او زعمي . والحقيقة ان فعل خطف يعني Abriouit ، وان كلمة خطاف هي سنان حديدي معقوف فى نهايته صنارة ، ابزيم . وهناك كلمة عربية اخرى مشتقة من نفس هذا الاصل ، وهي ، مثل خطفية ، لا وجود لها فى القاموس . وأود ان اتحدث عن كلمة مخطاف .

يرى بيدرو (مفردات اسبانية عربية) ان كلمة مخطاف تقابل : (Anzuelo (garavato) garavato وتقابل كلمة مخطاف قطعة حديدية معقوفة لها صنارة صغيرة ، او هي الصنارة ذاتها . والواقع ان ابن بطوطة (الرحالة ، مخ دى كايانكوس ، ص 234) يخبرنا ان عبيد تجار الهند يحملون ما هو (عود غليظ له زج حديد وفى اعلاه مخطاف حديد فاذا اعيا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض وعلق حمله منه .

وكلمة مخطاف تعني كذلك عصا مسلحة من احدى نهايتيها بقطعة من الحديد المدبب المعقوف وتعني مرساة . راجع الكالا فى كلمة : Cayado de pastor عصا الراعي .

راجع كذلك دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 103) .